

وقفة السببية على بني خالد وفيها وقعة السببية (١) المشهورة ، سميت بذلك لكثرة ما فيها من الحلي والحلل ، وذلك سبي أن محمد بن عريعر وأخاه ماجد استلحقوا عربانهم وأتباعهم من بني خالد وغيرهم ، وظهروا قاصدين نجد لمحاربة تركي وأتباعه ، وسار فهد بن مبارك الصيفي رئيس أعراب سبيع ومعه جملة من عرباته ومعهم أيضاً فدغم بن لامي وفراج ابن شبلان ورؤساء المقالة من أعراب مطير وكثير من عربانهم ، وضويحي الفغم رئيس أعراب الصهبة من مطير وعربانه ، ومعهم أيضاً مزيد من مهلهل بن هذال وجملة من أعراب عنزة ، ومطلق بن نحيلان رئيس بني حسين وعربانه ، وغيرهم من أخلاط البوادي ، وسار محمد بن عريعر وأخوه ماجد بتلك الجنود فنزلوا خفيسة المهيري الخبرا المعروفة بين الدهنا والصمان ، ويشربون من ماء معقلا ماء قريب منهم ، فلما بلغ تركي بن عبدالله رحمه الله تعالى خبرهم ذلك أمر على جميع نواحي المسلمين من أهل العارض والجنوب والوشم وسدير والقصيم والجبل ووادي الدواسر ، واستنفرهم مع ابنه فيصل وأمر على أتباعه أيضاً من العربان بالمغزا معه ، مطلق المصنح وأتباعه من أعراب سبيع ، وعساف أبوثنين وأتباعه أيضاً من سبيع ، وضويحي ابن خزين بن لحيان رئيس أعراب السهول وأتباعه ، ومحمد ابن هادي بن قرملة وأتباعه من قحطان ، وغيدان وأتباعه من آل شامر وآل عجمان ، فسار فيصل في أول شعبان وقصد جموع بني تهم خالد ، ونزل بينهم معقلا الماء المعروف الذي يشربون منه وقطعهم عن الماء ، ووقع الطراد والقتال وتصادمت الفرسان والأبطال ، والجنود ، وتلاقت الفئتان وعمل السنان واشتعلت نار الحرب ، وصبر الفريقان وثارت نيران العزائم العدية ، فدارت بين الطائفتين كؤوس المنية ، وعمل أهل البنادق والمتارس بالحجارة ، وتعاقبت الفرسان بينهم كأطيف الطارة ، وأظلم الجو من وقع سنايك الخيل ودخان البارود ، واستمر هذا القتال والطراد والحرب والضرب والجلاد مدة أيام وهم يديرون رأيهم وحيلهم فلم يدركوا إلا أن ساقوا على رماة المسلمين إبلهم ، فاشتد الأمر بالمسلمين ، فأرسل الموت على ماجد بن عريعر وذاق طعمه ومره ، وذلك في أول رمضان ، فلم الله واستنفره ، فلما بلغه الخبر ركب بشرزمة قليلة من ورجاجيله واستنفر حشد ابن وريك رئيس آل عاصم من قحطان ، وقدم على ابنه في العشر الأواخر من رمضان ، ينزل حتى قابل خيمة محمد بن عريعر وضرب خيمة قبالتها فوقع الفشل فيهم حيث رفعها وأقامها ، وأنزل الله النصر لذلك القدوم وبالا اعتماد على دعاء الحي القيوم ، فتزاحمت جموع العربان وتلاقت الأبطال والفرسان ، وقتل ذلك اليوم المصنح رئيس سبيع ، وقتل من بني خالد عدة فرسان وعدد من الرجال والخيول حتى قاربوا للهزيمة فلما كان صبح سبع وعشرين من رمضان حملت جموع المسلمين على جموع بني خالد ، وتنزل النصر من الصمد الواحد ، فانهزموا هزيمة شنيعة ، فولوا جميعاً هاربين وعلى أعقابهم مدبرين ، ولا والد على ما ولد ، والمسلمون في ساقاتهم يقتلون ويغتنمون ويحمدون ربهم شكراً ويشكرون ، واستولى الإمام على محلتهم وخیامهم وسوادهم وبياضهم من والفرش والابل والأغنام ، وجميع ما معهم من الأواني وآلات الحرب ، ولا سلم إلا الشريد على ظهر فرسه إلا بعض فرقان من مطير هربوا بإبلهم ، هذا وهم في أعظم عدد وعدة وقوة هائلة وشدة ، وقد أقبلوا لحرب المسلمين وقوتهم عندهم أعظم عمدة ، ولو فهموا لقالوا (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده) . وأقام الإمام تركي وابنه فيصل في منزل هؤلاء الجنود يوماً أو يومين يجمع الأخماس من تلك الغنائم مما يعجز عنه الحصر ، وكتب إلى رؤساء الأحساء يدعوهم إلى المتابعة والمبايعة فأجابوه إلى ذلك بمن معه من جنود المسلمين ، وقصد الأحساء ، وكان محمد بن عريعر ومن معه من عشيرته وبعض رؤساء بني خالد لما صارت الهزيمة ، قصدوا الأحساء فدخلوه ورتبوا ثغوره وقصوره وضبطوه ، ولكن المقادير تغلب التدابير وربك على كل شيء قدير ، فلما قرب تركي من الأحساء ، ونزل الحويزات المعروفة أوقع الله الرعب في قلوب بني خالد ورؤسائهم ، وهربوا على ظهور خيلهم وتركوا النساء والأبناء والأموال فرحل تركي ونزل البلد ودخلها من غير قتال ، ونزل تحت القارة المسماة أبو غنيمة ، فسلموا له ، وظهر عليه رؤساء أهل الأحساء وأعيانهم وعلماهم وبايعوه على القيام بدين الله ورسوله والسمع والطاعة ، وبقي قصر الكوت فيه محمد بن عريعر وخيله وبعض رجاله دخله واحتصن فيه بلا حرب ، فأرسل إليه الإمام إن شئت أن تخرج على إحساننا وإساءتنا فاخرج ، فخرج فعامله بالإحسان والإكرام والأمان ، وأعطاه ما يحتاج إليه من الخيل والركائب العمانية وغير ذلك من الأمتاع ، وأمر على عمر بن محمد بن عفيصان ومعه خيل وجيش من المسلمين أن يسروا خلف برغش بن حميد والذين هربوا معه من بني خالد ، فأدركهم في أطراف الأحساء ، وأخذ ركاتيهم وما معهم وهربوا على ظهور خيلهم ، وأقام تركي وابنه فيصل في الأحساء أكثر من أربعين يوماً ، وأخذ نخيلهم بيت مال ، ورتب رجالاً في الثغور والقصور ، وأدب من تخلف عنها ، وحضهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتعليم الجهال أصل الاسلام ، ووفد إليه رؤساء أهل القطيف وبايعوه وكذلك رؤساء عربانهم ، وهو مسرور منصور . ثم قفل راجعاً إلى وطنه ، وأذن لغزوه من كل ناحية ، ولرؤساء العربان ، فرجعوا سالمين غانمين ، وفيها أرخص الله الأسعار وفاضت الآبار وبلغ البر خمس وثلاثين صاعاً بالريال (١)

والتمر سبعين وزنة بالريال وكثرت الخيرات والبركات. أنه وفيها غزوة الأفلاج البلد المعروفة في الجنوب ، بعض ، فنزل بهم وقطع نخيلاً وأجلى رجالاً . حوادث سنة ١٢٤٦ هـ) ثم دخلت السنة السادسة والاربعون بعد المائتين ألف ، وسدير والوشم والقصيم وجبل شمر وعربانهم ، فقصد الشمال ووافق فهيد الصييفي رئيس سبيع وأتباعه وبني حسين وأخلاق معهم من غيرهم ، وهم نازلون بين حفر الباطن (١) والوقبا الماء ان المعروفان فصحبهم بجنوده وأخذهم ، فلما حاز أموالهم حضر عنده رؤسائهم وادعوا أن لهم عنده ذمة وعهد ، فرد عليهم جميع ما أخذ منهم ، ثم سار ونزل الصبيحة الماء المعروف قرب بلد الكويت ، وأقام تركي على هذا الماء أكثر من أربعين يوماً ، ووفد عليه كثير من رؤساء العربان ، ثم بلغه ان ابن عمه مشاري بن عبد الرحمن ظهر من الرياض برجال معه من أعوانه هارباً مغاضباً له ، فلما بلغه ذلك الخبر قفل راجعاً ، وأقام فيه مدة أيام ، ووفد إليه فيه رجال من أهل سدير ورؤساء عنزة وغيرهم . وأقام عليها أياماً ثم قفل إلى بلده ، وأما مشاري فإنه لما هرب من الرياض ، وجد منديل ابن غنيمان رئيس الملاعبة من مطير وعربانه في المستوى المعروف عند رمال السر ، فطلب منه ينزل عنده وينصره فأبى ، ثم رحل من عنده ، وكتب رؤساء أهل القصيم يطلب منهم ذلك فأبوا عليه ، سار ، ونزل على عربان عنزة واستنصرهم فلم يغنوا عنه شيئاً ، ثم سار إلى مكة وقصد الشريف محمد بن عون رئيسها يومئذ ، فأكرمه وأراد منه النصر والمساعدة فأبى عليه ، وأقام عنده مدة أشهر ، فلما علم أن أنه لا ناصر له سار من مكة وقصد خاله الامام تركي بن عبدالله ، وألفى عند أهل بلد المذنب ، وطلب منهم يركبون إلى خاله ويأخذون له ذمة وعهد ، وأنه ندم على ما سلف ، فركبوا معه وقدموا على تركي بالرياض فعفا عنه وأكرمه ، وذلك في أول السنة الثامنة على ما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى . وفيها في آخر ذي القعدة هب ريح عاصف وقت العشاء الآخرة ، ورمى نخيلاً كثيرة في سدير وغيره ، واحصي الذي طاح من قريننا (1) أربعمائة نخلة ، ومن تقدير العزيز العليم أن أكثر الانكسار في النخلة الشابة الخيسة والنخل الكبار العيدان هو السالم في الغالب ، وهذه من الآيات وخوارق العادات التي طمت فعمت حتى قيل إنها كذلك في الأقطار شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً . وهو الوباء المعروف أبو زويعة ، وهو العقاص الذي أشار إليه النبي الله ، وأول ما وقع فيها قبل قدوم الحاج في ذي القعدة ، ومات منه فئام من الناس ثم ارتفع عنها على دخول ذي الحجة ، فلما كان يوم النحر حل الوباء والموت العظيم ثانياً في الحاج وغيرهم ، ومات في أيام التشريق فئام من الناس . ذكر لنا أنه ما بقي من الحاج الشامي إلا قدر ثلثه ، أقل ومن حاج أهل نجد كل بلد هلك من حاجهم قدر نصفه وأكثر وبعضهم ، وذكر لنا أنه أحصي الذي مات من أهل مكة فكانوا ستة عشر ألف نفس ، وقدم علينا أناس من المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام بعد الحج وأخبروا أنه لما قدم الحاج الشامي المدينة بالليل راجعاً من ،